

المبحث الثالث :

موقف (راند) من بعض الأحزاب السياسية في العالم
الإسلامي، وتحليله ونقده

المبحث الثالث

موقف (راند) من بعض الأحزاب السياسية في العالم الإسلامي، وتحليله ونقده

برزت عناية (راند) بحركة سياسية معارضة ناشئة في مصر، وبحزب سياسي في تركيا ذي خلفية إسلامية، استطاع أن يستمر بنجاح لأكثر من مرحلة انتخابية.

أما الحركة فهي: الحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية).

وأما الحزب فحزب العدالة والتنمية التركي.

وفيما يلي مطلبان يتضمنان الحديث عنهما ، وموقف (راند) منهما، وتحليله ونقده.

المطلب الأول: حركة كفاية المصرية:

١- تأسيس حركة كفاية، ودراسة (راند) عنها:

تأسست الحركة المصرية من أجل التغيير (كفاية) عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، بتصديق ثلاثمائة من المثقفين المصريين على البيان التأسيسي لها؛ اعتراضاً على ترشح الرئيس المصري حسني مبارك لولاية خامسة، واعتراضاً على المحاولات الرامية إلى توريث الحكم لابنه من بعده، ثم توسعت لتشمل الدفاع عن بعض المظالم^(١).

وهي تجتمع لرموز سياسية وفكرية وثقافية ونقابية ومجتمعية من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية. طالبت بإنهاء احتكار السلطة، وفتح الباب لتداولها، وإنهاء احتكار الثروة، وإعلاء سيادة القانون، والقيام بإصلاح دستوري^(٢).

وعبرت عن مطالبها بالتظاهر، وكان أوج قوتها عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، وحصلت الحركة على دعم إعلامي مكثف في الصحف المعارضة^(٣).

نشرت (راند) عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م دراسة بعنوان: (حركة كفاية: دراسة حالة لمبادرة الإصلاح الشعبية)، قام بإعدادها (د.شيريل بينارد) وآخرون. أعدت لصالح وزارة الدفاع الأمريكية. وأسهم في هذه الدراسة أشخاص، قالت عنهم الدراسة: «يفضلون عدم الكشف عن هويتهم»^(٤) أ.هـ. ومن المترجح أنهم مصريون، وأن سبب عدم الكشف من أجل سلامتهم أمنياً، لكونهم ينتمون أو يتحدثون عن حركة معارضة غير رسمية، تقوم بالاعتراض والتظاهر.

ويعد الباحث دراسة (راند): (حركة كفاية)، الصادرة قبل الثورة المصرية بثلاث سنوات، أساس التخطيط الأمريكي للثورة المصرية مطلع عام ١٤٣٢هـ؛ يدل على هذا توصيات الدراسة، والموقف الأمريكي الرسمي المعلن المؤيد للثورة في أسابيعها الأولى.

(١) ينظر: نص البيان التأسيسي، موقع كفاية: <http://www.harakamasria.org/node/803>؛ و

The Kefaya Movement. P. 3.

(٢) نص البيان التأسيسي، المرجع السابق.

(٣) ينظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): <http://ar.wikipedia.org/wiki>

(٤) The Kefaya Movement. P. xiii

لكن قد يكون توقيت الثورة المصرية، سبق الزمن الذي توخاه المخطط الأمريكي، وكان لثورة تونس تأثير، فحصلت قبل اشتداد نمو البذر، والمقصود به اشتداد القوة الجماهيرية لغير الجماعات الإسلامية. ولعله يدل على حدوثها قبل التوقيت المطلوب: آخر الكلمات في نهاية دراسة (حركة كفاية): «البذور جاهزة للزرع، فيجب العناية بنباتها لكي تؤتي ثمارها. أحياناً، قد يحدث هذا بعد سنوات عديدة»^(١).

٢- أهداف دراسة (حركة كفاية):

أ- البحث في الحركة الشعبية للإصلاح السياسي في العالم العربي، وانعكاساتها على السياسة الأمريكية في المنطقة^(٢).

ب- إفادة المعنيين بالتحديات التي تواجه المحاولات الشعبية الساعية لتحقيق الديمقراطية والإصلاح السياسي في العالم العربي بعامه، وفي مصر بخاصة^(٣).

٣- أسباب اختيار (راند) حركة كفاية:

تحدث الدراسة عن سبب اختيارها حركة كفاية دون سائر الحركات في الشرق الأوسط؛ لأنها كانت فريدة من نوعها، حيث جمعت بين (المتطرفين) و(المعتدلين) من سائر التيارات الفكرية المختلفة، ولنجاحها في تكوين تحالفات مع حركات متنوعة أخرى؛ ولكونها قد تكون قادرة - بصورة فاعلة - على ممارسة بعض الضغط السياسي من أجل الديمقراطية في مصر^(٤).

٤- مميزات حركة كفاية لدى (راند):

أ- أنه برز لدى حركة كفاية نقاط قوة في وقت مبكر، من ذلك قدرتها على العمل مع جميع الأطراف المختلفة سياسياً ودينياً، وبخاصة مع الإسلاميين^(٥).

ب- «نبحث (كفاية) في بدايتها في تعبئة قطاعات واسعة من المجتمع المصري»^(١).

(١) المرجع السابق: P. 54.

(٢) نفسه: P. iii.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه: P. 2.

(٥) نفسه: P. x, 23.

ج- أنها استطاعت «في نهاية المطاف كسر الجمود في السياسة المصرية... وتهيئة بيئة سياسية جديدة تفضي إلى مزيد من الديمقراطية»^(٢).

د- «وصفها بأنها منظمة علمانية»^(٣).

هـ- قدرتها على جذب أعضاء من جميع طبقات المجتمع، ففيها أعضاء من الطبقة الدنيا، والمتوسطة، والعليا^(٤)، وفيها الكبار، والشباب، والأطفال^(٥).

و- برزت حركة كفاية في وقت كانت فيه الدعوات إلى إحداث التغيير عن طريق العنف، فكانت (كفاية) رمزًا للنضال الديمقراطي السلمي، وأكدت على أنه الطريق الوحيد^(٦).

ز- تطمح إلى تمكين سيادة القانون في كل مستويات الحكومة المصرية، وتتطلع إلى الأنموذج الغربي^(٧).

ح- «استطاعت (كفاية) التأثير على وسائل الإعلام المستقلة والدولية للضغط على النظام»^(٨).

ط- استطاعت (كفاية) أن تكون أنموذجًا وقدوة لحركات مماثلة داخل مصر وخارجها، مثل ليبيا والسودان^(٩).

٥- تراجع حركة كفاية وضعفها:

(١) نفسه: P. 3

(٢) نفسه: P. 10-11

(٣) نفسه: P. 11

(٤) نفسه: P. 12

(٥) نفسه: P. 19

(٦) نفسه: P. 19-20

(٧) نفسه: P. 20

(٨) نفسه: P. 24

(٩) نفسه: P. 25

عقدت دراسة (حركة كفاية) الفصل الرابع لمناقشة الأسباب التي أدت إلى تراجع الحركة وضعفها، وتشير إلى أنها نفس الأسباب التي تحد من انتشار الديمقراطية في جميع أنحاء العالم العربي^(١).

وسلّطت الدراسة الضوء على تلك الأسباب التي تعد عقبات تعرقل المبادرات الديمقراطية في جميع أنحاء المنطقة، وكيفية التغلب عليها، وأوردت عددًا من الأسباب، مع أسباب أخرى نشأت من داخل الحركة نفسها، وذلك كما يلي^(٢):

أ- التخويف من قبل الدولة، واستخدام القمع العنيف، وممارسة التعذيب، وانتهاك الأعراض.

ب- التلاعب بتعديل القوانين لصالح الحكومة؛ لترسيخ هيمنة الحزب الحاكم على السلطة؛ إما بإعطاء السلطات الأمنية سلطة مطلقة لانتهاك الحريات الشخصية من غير إعلان حالة الطوارئ؛ أو بتوسيع قانون العقوبات ليصبح مرئًا للغاية، فيشمل أفعالاً لم تكن داخلية فيه من قبل؛ أو لتحسين الصورة الديمقراطية للحكومة أمام المراقب الأجنبي.

ج- وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدولة، حيث سعت إلى تشويه صورة المعارضين، وأنهم يأترون بأوامر أمريكية لزعزعة استقرار البلاد، والترويج لشائنة حصولها على تمويل من وكالة الاستخبارات الأمريكية.

د- المشاكل مع النخبة، والرسالة المضادة للديمقراطية، حيث تعتقد النخب الحاكمة أن الديمقراطية تهدد بقاءها في السلطة، فتعمل بالتالي على تشجيع رسائل معادية للديمقراطية، وتُعامل من يسعى إلى تعزيز الديمقراطية معاملة المنشقين السياسيين، ويعاقبون على هذا النحو، وتتحدث النخب الحاكمة عن مبررات مختلفة، مثل الأمن الوطني؛ لإفشال الديمقراطية.

هـ- تعثر تحالف حركة كفاية مع الإسلاميين؛ بسبب تهميشها لهم، وبسبب اتجاهها العلماني، وعدم مناهضتها للاحتلال الأمريكي في العراق، والاحتلال اليهودي في فلسطين.

(١) نفسه: P. 27

(٢) نفسه: P. 27-40

و-أسباب داخل حركة كفاية أدت إلى تراجعها، ومنها أن العضوية في الحركة كانت فردية لا تؤدي إلى صراع أحزاب داخل الحركة، ثم بدأ انضمام أفراد ينتمون إلى أحزاب، فذب إليها الصراع الفكري، ومحاولة كل حزب السيطرة على الحركة. وأيضاً فإن مطالب الحركة السياسية كانت بعيدة كل البعد عن تلبية الاحتياجات الأساسية للمصري المتوسط الحال؛ بما أدى إلى عدم تفاعله مع الحركة. وأيضاً أن الحركة لم يكن لديها رؤية للإصلاح، بل كانت ضد تمديد الحكم وضد توريثه فحسب، وبقيت في مرحلة الاحتجاجات مدة طويلة، فركزت على المظاهرات دون محاولة بناء قاعدة من الدعم الشعبي.

٦-موقف (راند) من حركة كفاية ونحوها من حركات التغيير السياسي المجابهة للدولة، وتوصياتها للسياسة الأمريكية:

تدرك دراسة (حركة كفاية) رفض الرأي العام في الشرق الأوسط لسياسات الولايات المتحدة، وأن موقفه سلبي تجاهها^(١). وتدرك أيضاً أن حركات (الإصلاح) تحتاج إلى دعم خارجي يعينها على الصمود في وجه الضغوط عليها^(٢).

وفي هذا الإدراك أوصت دراسة (حركة كفاية) بتوصيات للحكومة الأمريكية، تصب في مصلحة هذه الحركة ونحوها من حركات التغيير السياسي، وفيما يلي أهم التوصيات:
أ-«ينبغي على الولايات المتحدة... أن تضع وسيلة لتحديد المبادرات الديمقراطية الوليدة؛ حتى تتمكن من تسهيل نموها وتوجيهها نحو اتخاذ إجراءات عملية وبناءة»^(٣).

ب-«ينبغي على الولايات المتحدة تطوير وسائل أفضل لسبر الظروف السياسية المحلية وفهمها، ودعم حركات (الإصلاح) المنبثقة عنها»^(٤).

ج-من المفيد للولايات المتحدة لتحقيق مكاسب على المدى الطويل أن تنتهج سياسة ثابتة لدعم دعاة الإصلاح الديمقراطي، ودعم جهود الإصلاح الديمقراطي في العالم العربي^(٥).

(١) نفسه: P. 48

(٢) نفسه: P. 49

(٣) نفسه: P. xi

(٤) نفسه. ومن المؤكد أن هذا ما يقوم به معهد (راند) في قطر، وفرعها في أبو ظبي، وما تقوم به مؤسسات مثيلة.

د- من الأفضل أن تقوم الولايات المتحدة بدعم مبادرات الإصلاح الديمقراطي من خلال المؤسسات التي لا تتبع للحكومة الأمريكية، وبخاصة المؤسسات غير الربحية منها^(٢).

هـ- «يتعين على حكومة الولايات المتحدة تشجيع المنظمات غير الحكومية لتوفير التدريب للإصلاحيين، بما في ذلك: التوجيهات بشأن بناء ائتلاف، وكيفية التعامل مع الخلافات الداخلية في السعي لتحقيق الإصلاح الديمقراطي... مما يجعل زعماء الإصلاح جاهزين لتسوية خلافاتهم سلميًا وديمقراطيًا»^(٣).

و- ينبغي على الولايات المتحدة رعاية (الإصلاحيين) في تعزيز فعالية برامج الخدمة الاجتماعية لهم؛ لتمكينهم من بناء قاعدة انتخابية تشق طريقها في البيئات الحضرية والريفية التي كان يطالب بها (المتطرفون). وتقول: إن توفير التعليم، والرعاية الصحية، والدعم المالي، يمكن أن يساعد في بناء العلاقات القوية على المستويات المحلية، والعلاقات التي قد تؤدي في وقت لاحق إلى الدعم السياسي^(٤).

ز- القيام بممارسة الضغوط الدولية على الأنظمة (الاستبدادية)، وأن تتبنى الولايات المتحدة جهود (الإصلاحيين) علنًا في وسائل الإعلام^(٥).

ح- «يتعين على الحكومة الأمريكية أن تساعد في تعزيز الضغط الدولي ضد اضطهاد (الإصلاحيين)»^(٦)، والعناية بدعم المنظمات والهيئات التي تحمي حقوق الصحفيين، والمدونين على الشبكة العالمية للمعلومات؛ حيث إن الإعلام كان له أثر مهم في نجاح حركة كفاية؛ وحيث إن دعم تلك الهيئات سيكون له أثر إيجابي في حماية الإعلاميين^(٧).

(١) نفسه: P. 48.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: P. 50.

(٤) نفسه: P. xi, 51.

(٥) نفسه: P. 48.

(٦) نفسه: P. 49.

(٧) نفسه.

ط- «ينبغي على الولايات المتحدة أن تساعد الإصلاحيين في استخدام تقنية المعلومات، وربما عن طريق تقديم حوافز لشركات أمريكية للاستثمار في البنية التحتية للاتصالات وتقنية المعلومات في المنطقة. ويمكن لشركات تقنية المعلومات الأمريكية أن تساعد أيضًا في ضمان بقاء مواقع الإصلاحيين على الشبكة العالمية في العملية، ويمكن أن تستثمر في التقنيات التي تُمكن من إخفاء الهوية... وتُقدم بعض الوقاية من تمحيص الحكومة. ويمكن تحقيق ذلك أيضًا من خلال توظيف ضمانات تقنية للحيلولة دون تخريب مواقع الإصلاحيين على الشبكة العالمية (الإنترنت)»^(١).

ي- «ينبغي على الولايات المتحدة تحسين قدرتها على المشاركة الإيجابية في العالم العربي. لحسن الحظ أنه يمكن للولايات المتحدة أن تقوم بمهام بناءً كبيرة في المنطقة، فمعظم العرب تواقون للتغيير... وآفاق التحول الديمقراطي تبدو واعدة في مصر، حيث تسعى أغلبية كبيرة من السكان للإصلاح»^(٢).

يتأكد -بكل وضوح- مما سبق، بدءًا من وصف الحركة، وتشخيص مواطن القوة والضعف فيها، ومحاولة تقويم ضعفها، وتصحيح أخطائها، وانتهاءً بالتوصيات: أن (راند) ضد الحكومات غير الديمقراطية في العالم الإسلامي، وأنها تدعم المعارضات السياسية -غير الدينية- للحكومات، وتحاول أن تجعلها أكثر قوة، وأكثر قدرة على مواجهة الحكومة والتغلب عليها، وعلى منافسة الأحزاب الإسلامية؛ لإقامة الديمقراطية.

ويُعد فكر دعم المعارضة السياسية -غير الدينية- منهجًا ثابتًا لدى (راند)، حيث دأبت عدة دراسات على البحث عن الانقسامات، والمعارضات، والأقليات، وكيفية استغلال ذلك لمصلحة الولايات المتحدة.

(١) نفسه: P. 50

(٢) نفسه: P. 52

وهل سعي الولايات المتحدة للثورة ودعمها كان حقيقة لمشروع تحقيق الديمقراطية في العالم الإسلامي، المنطوي تحت مشروع العولمة الأمريكي الصهيوني؟ أم أنه لهذا المشروع مع محاولة إحداث الفوضى في البلدان التي يحدث فيه التغيير؛ من أجل تقسيم البلد الواحد وتجزئته؟
يرجو الباحث أن تتضافر جهود الباحثين سريعاً للوقوف على الأهداف الحقيقية من هذا.

المطلب الثاني : حزب العدالة والتنمية التركي:

١- موجز الواقع التركي السياسي خلال قرن:

كان دين الدولة العثمانية الرسمي: الإسلام، والحنفية مذهباً لها. وكانت المذاهب السنية الثلاثة الأخرى متعادلة مع الحنفية^(١).

وكان لسقوط الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، وأعمال المسخ العلماني والتغريب بزعماء (أتاتورك) أثر سيء على تركيا، وعلى بعض بلدان العالم الإسلامي، وتحول معظم المجتمع التركي خلال عقود إلى مجتمع علماني، ثم تمكن (نجم الدين أربكان)^(٢) - بعد تعديلات دستورية سمحت بالمشاركة الحزبية - من تأسيس (حزب الرفاه) عام ١٩٨٣م، الذي خاض انتخابات متعددة، وتمكن حزبه من الفوز فيها عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ومال إلى تقديم برنامج عمل إسلامي، لكنه لم يلبث إلا عاماً واحداً بعد تسلمه الحكومة حتى أجبر الجيش التركي رئيسَ الحزب على الاستقالة، وجرى حل الحزب عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ثم عاد الحزب باسم (حزب الفضيلة)، وسرعان ما أُغلق، ثم انقسم إلى حزبين: (حزب السعادة) وتبنى سياسة (أربكان)، وحزب (العدالة والتنمية)، الذي يختلف في

(١) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة عدنان محمود سلمان، (إسطنبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٩٠م)، ٤٦١/٢.

(٢) نجم الدين أربكان بن محمد صبري بك، من سلالة آل قوزان، ولد في إقليم سينوب بتركيا سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م وترعرع في أحضان عائلة متدينة، وانتقل إلى إسطنبول عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م وتخرج في جامعتها في قسم الإنشاءات الهندسية، وعين معيداً فيها، ثم ابتعث إلى ألمانيا لمدة ثلاث سنوات وحصل على الدكتوراه. وفي عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م أسس (حزب الرفاه) للوقوف أمام التيار العلماني، وبعد فوز حزبه حكم تركيا عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، لمدة عام واحد، حيث أجبر على الاستقالة. توفي أربكان عام ١٤٣٢هـ. الموسوعة الميسرة ١/٢٢٠-٢٢٢؛ وموسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، د. أحمد الموصلي، ط٢، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م)، ص ١٤٨؛ و"نجم الدين أربكان: أبو الإسلام السياسي في تركيا"، د. ناجي سويد، في: عودة العثمانيين: الإسلامية التركية، مجموعة باحثين، ط٣، (دبي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١١م)، ص ١٧٢-١٧٧، ١٩٠، ١٩٢.

سياسته ورؤيته عن رؤية (أربكان) وحزبه، وما يزال الحزبان يخوضان الانتخابات التركية حتى الآن، لكن نسبة التأييد لحزب السعادة ضئيلة جدًا، أما حزب العدالة فتتالي فوزه، ولا يزال حاكمًا منذ أول انتخابات خاضها بُعيد تأسيسه وحتى الآن.

٢- أهمية تركيا للولايات المتحدة:

تمثل تركيا أهمية استراتيجية كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية: فهي دول ديمقراطية، وهي دولة علمانية، وعضو في حلف شمال الأطلسي، ومرشحة للانضمام للاتحاد الأوروبي، ومستضيفة لقاعدة جوية أمريكية، ومركزًا رئيسًا للدعم والإمداد العسكري في العراق وأفغانستان. إنها بلد حيوي لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط والبلقان ومنطقة القوقاز^(١).

وما يهم هنا في هذا المبحث: أن (راند) ترى: أن تركيا استطاعت -في ظل حزب العدالة والتنمية- أن تقيم التعايش الواقعي بين الإسلام وبين الديمقراطية، والعلمانية، والعولمة، والحداثة^(٢)؛ وبالتالي فإن تجربتها تتوافق مع المصالح الغربية، ويمكن أن يستفيد الغرب بنقل تجربتها إلى مناطق من العالم الإسلامي.

٣- التعريف بحزب العدالة والتنمية التركي، ودراسة (راند) عنه:

تصف إحدى دراسات (راند) الحزب بأنه: حركة سياسية، ذات جذور إسلامية، لكنه لا يُعرّف نفسه بأنه حزب إسلامي، وليس لديه جدول عمل إسلامي، بل كانت أولويات الحزب: متابعة تقدم تركيا نحو العضوية في الاتحاد الأوروبي، وتحقيق الاستقرار الاقتصادي، وإصلاح النظام القانوني^(٣) ١٠هـ. ويشير موقع الحزب إلى هذه الأولويات^(٤).

(١) The Rise of Political Islam in Turkey. P. iii ؛ وينظر:

Mediterranean Security: New Issues and Challenges. P. viii.

(٢) The Rise of Political Islam in Turkey. P. iii

(٣) المرجع السابق: P. ix, 2

(٤) الموقع العربي للحزب: <http://www.akparti.org.tr/arabic/akparti/2023-siyasi-vizyon>

وقامت دراسة أخرى لـ(راند) بتحليل الواقع التركي، وقالت: إن (التطرف الإسلامي) لا يُكوّن تهديدًا للاستقرار في تركيا، وأن حزب العدالة والتنمية -منذ توليه- قد نحّى الدين عن السياسة^(١). هـ.

تأسس الحزب عام ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م، ووصل إلى السلطة في حكومة تركيا في العام التالي لتأسيسه، وما زال يحقق الفوز في الانتخابات حتى الآن^(٢).

وأهم دراسة لـ(راند) تناولت حزب (العدالة والتنمية)، وركزت على الدين والدولة في تركيا: دراسة (صعود الإسلام السياسي في تركيا) (The Rise of Political Islam in Turkey)، أعدها (أنجل راباسا) و(ستيفن لارابي)، أعدت لصالح وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسية في الولايات المتحدة، ونشرت عام ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨ م. وعرضت أربعة مشاهد متوقعة لمستقبل الحزب، وتُرجح أن يحافظ الحزب على السياسة العلمانية، وألا يسمح للنبضات الإسلامية بالظهور، لا داخليًا، ولا خارجيًا^(٣)، وألا يتبنى برنامجًا إسلاميًا؛ للأسباب التالية^(٤):

أ- أن ذلك سيؤدي إلى تدخل الجيش، وهذا ما يدركه الحزب تمامًا.
ب- أن معظم الأتراك يؤيدون الدولة العلمانية، ويعارضون قيام دولة تستند إلى الشريعة الإسلامية^(٥).

ج- أن هذا سيؤثر على عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي، وهي ورقة رئيسة في سياسة الحزب، لن يتخلى عنها بسهولة.

(١) The Muslim World after 9/11. P. 59

(٢) الموقع العربي للحزب: <http://www.akparti.org.tr/arabic/akparti/2023-siyasi-vizyon>

(٣) ينظر هذا الترشيح: P. x The Rise of Political Islam in Turkey.

(٤) المرجع السابق: P. xii

(٥) التعميم بأن معظم الأتراك يعارضون قيام حكومة إسلامية فيه نظر، بل هم إلى تأييد ذلك أقرب؛ بدلالة الفوز الساحق لحزب العدالة ذي الخلفية الإسلامية، والفوز الذي حضي به قبله حزب الرفاه الإسلامي.

لكن معظم العلمانيين في تركيا يُبدون قلقهم من (الأسلمة الزاحفة creeping islamization) في ظل حزب العدالة والتنمية، حيث يحتمل أن يكون الحزب يعمل على برنامج خفي لأسلمة المجتمع التركي^(١).

٤- موقف (راند) من حزب العدالة والتنمية التركي، وتوصياتها للسياسة الأمريكية:

كان موقف (راند) من حزب العدالة والتنمية موقفًا مؤيدًا حذرًا، تشوبه مصلحة خالصة للولايات المتحدة والغرب.

حيث توصي دراسة (راند) (صعود الإسلام السياسي في تركيا) أن تأخذ السياسة الأمريكية من أنموذج حزب العدالة والتنمية ما يخدم مصالحها في تغيير الشرق الأوسط، وفي نفس الوقت لا تريد أن تتخذ سياسة تُسهم -على المدى البعيد- في تعزيز الإسلام في السياسة التركية، مقابل إضعاف العلمانية وتقويضها^(٢). فهي تريد من تركيا أن تكون مؤثرة سلبيًا في البلدان الإسلامية بنشر أنموذجها الديمقراطي العلماني بقيادة ذات خلفية إسلامية، من غير أن تتأثر هي بالتحول إلى الإسلام، أو إلى الدول الإسلامية.

وتؤكد الدراسة: أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تدعم الديمقراطية بقوة في تركيا، وألا تسمح للجيش بأن يستبد في الحكم. وتقترح أن يكون تدخل الولايات المتحدة في هذا الشأن تدخلًا خفيًا، من خلال التنسيق مع دول الاتحاد الأوروبي؛ لأن بقاء الديمقراطية في تركيا يخدم المصالح الأمريكية، وبخاصة ما يتعلق منها بالعراق^(٣).

وتجعل الدراسة تركيا الديمقراطية أنموذجًا يصلح تمريره إلى منطقة الشرق الأوسط^(٤). وقد توجه مسار الأحداث في بعض دول العالم العربي بعد الثورات العربية على اقتفاء الأنموذج التركي، حتى قال رئيس حزب العدالة والتنمية التركي، في مؤتمر حزبه آخر عام

(١) The Rise of Political Islam in Turkey. P. ix

(٢) المرجع السابق: P. 96-97

(٣) نفسه: P. 98

(٤) نفسه: P. 99

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م: «إن حزبه الحاكم في تركيا أصبح نموذجاً يتبعه الآخرون في الدول المسلمة»^(١)..

وفي شأن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، ترى دراسة (صعود الإسلام السياسي في تركيا): أن اندماج تركيا في الاتحاد الأوروبي سيبرهن على كذب الادعاء القائل بعداوة الغرب للمسلمين، وأن عدم اندماجها سيثير ردود فعل معادية للغرب^(٢)، وتقول: «ينبغي على الولايات المتحدة -بهدوء- دعم عضوية تركيا من خلف الأستار، وتجنب الضغط العلني»^(٣). وتقول أيضاً: إن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي سيعزز من توجه تركيا نحو الغرب^(٤).

وأوصى مؤتمر (راند) (أمن البحر الأبيض المتوسط) عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: بأنه «ينبغي بذل مزيد من الجهد لتعزيز توجه تركيا نحو أوروبا وتعزيز علاقتها بها»^(٥). وأشار -قبل ذلك- خبير (راند): (فولر)، إلى أن تركيا يمكن أن تصبح ذات توجهات إسلامية إذا فشلت في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، أو إذا رأت أن انضمامها إليه يسبب لها كارثة^(٦).

وجاء في ورشة عمل عقدتها (راند) في (سويسرا) عام ١٤٢٢هـ: أن انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سيجعل لأوروبا حدوداً جغرافية مع إيران والعراق وسوريا^(٧). وهكذا يتضح أن (راند) تجعل من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي سبباً لاستدامة العلمانية فيها، وقطع توجهها نحو الإسلام والعالم الإسلامي، ومد الحدود الأوروبية لتكون متاخمة للشام والعراق وإيران؛ ولذلك اتفقت رؤى خبراءها على تأييد الانضمام.

(١) موقع (بي بي سي):

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2012/10/120930_turkey_model_erdogan.shtml

(٢) نفسه: P. 99 The Rise of Political Islam in Turkey.

(٣) المرجع السابق.

(٤) نفسه: P. xv

(٥) Mediterranean Security: New Issues and Challenges. P. viii

(٦) Islamic Fundamentalism in the Northern Tier Countries. P. 9

(٧) Turkish Society and Foreign Policy in Troubled Times, Ian O. Lesser (Rapporteur), (Santa Monica, Rand, 2001). P. 13.

٥- نقد موقف (راند) من حزب العدالة والتنمية:

ضربت العلمانية المتطرفة بجذورها في مرافق المجتمع التركي، وتغلغلت فيه، وأقامت سدًا عسكريًا وقانونيًا منيعًا ضد انتقاصها أو التعدي على مبادئها.

والعلمانية التركية كما يدركه كل مطلع وكما تدركه (راند): التجربة العلمانية الأكثر شمولية وتطرفًا في العالم الإسلامي^(١).

وتتربص المؤسسة العسكرية التركية بأية محاولة للمساس بعلمانية الدولة^(٢). ويضع الدستور التركي - حتى الآن - قيودًا صارمة ضد استخدام الدين في السياسة^(٣). وهناك رصد داخل تركيا تركيا لأي انتهاك من أي حزب ضد المبادئ العلمانية^(٤). وتُرفع الدعاوى ضد أي أحد يحاول المساس بالعلمانية، فقد رُفعت عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م دعوى ضد حزب العدالة والتنمية؛ لأنه باشر بمراجعة دستور ليسمح بالحجاب في الجامعات، وهذا من الأعمال المناهضة للعلمانية^(٥). للعلمانية^(٥).

فلا عجب بعد ذلك ألا يتخذ حزب العدالة والتنمية أي برنامج عمل إسلامي، أو أن يعلن عن برنامجه وفق النظام العلماني. فأقصى ما استطاع المصلحون في تركيا: تحويل العلمانية من التطرف إلى الاعتدال، بمعنى عزل الدين عن التأثير في مرافق المجتمع، لكن دون عداء الدين نفسه وملاحقة أهله والتضييق عليهم.

(١) The Muslim World after 9/11. P. 24

(٢) ينظر المرجع السابق: P. 203

(٣) ينظر: The Muslim World after 9/11. P. 201 ؛ The Rise of Political Islam in Turkey. P. 3

(٤) ينظر: The Rise of Political Islam in Turkey. P. x

(٥) "زمن ما بعد الإسلام السياسي في تركيا"، جان ماركو، في: عودة العثمانيين، ص ٢٧-٢٨.

وكانت تجربة حزب العدالة والتنمية تسير في هذا الإطار، حيث سمح الحزب بحرية الدين وبمجال أوسع له، لكنه لم يسع إلى إقامة دولة إسلامية^(١). ولجميع ما سبق في هذا الفقرة، فإن الباحث يرى أن أنموذج حزب العدالة والتنمية في نهجه العلماني وفي محافظته على العلمانية، ينبغي أن يكون شأنًا خاصًا مقصورًا على الحالة التركية، غير صالح للتصدير إلى الدول الإسلامية؛ فلم تصل الدول الإسلامية في الأعم الأغلب إلى ما وصلت إليه تركيا في النهج العلماني الصارم، ولا في انتشار العلمانية في مرافق المجتمع.

(١) The Rise of Political Islam in Turkey. P. 18